قضية

لم يستطع الحزب الديموقراطي فرض مرشّحه التقليدي جو بايدن وسط ندرة البدائل لديه. الأخطاء التي اقترفها الحزب، منذ بداية رئاسة دونالد ترامب، أكثر من أن تُفصَّل. رغم ذلك، لا يزال يرفض إجراء مراجعة جدية لآليات عمله على مدى السنوات الثلاث الأخيرة، أو الاعتراف بأن مزاجاً جديداً في الشارع قد بدأ يتشكّل

جو بايدن على هامش السباق: حين يتبدّل المزاج الأميركي

ملاك حمود

لم يكن جو بايدن، طوال مسيرته في السياسة، إلا على هامشها؛ كلّما اشتغل لفرض نفسه، تعثّر أكثر، وكلّما جرى تسويقه منافساً وحيداً في مواجهة دونالد ترامب، سقط سقوطاً مدوياً. لثلاث سنوات من عمر رئاسة ترامب، لم تُشكّك طغمة الحزب الديموقراطي في أن من تتعامل معه بصفته مرشّحها المفضّل وشبه المضمون قادر على المنافسة، رغم أن أحداً غيرها لم يقتنع يوماً بهذه الفرضية. فرضيّةٌ بيّنت هشاشتها انطلاقةُ تمهيديات الديموقراطيين في ولايتَي آيوا ونيوهامبشر، ليحلّ متصدّر السباق سابقاً في المرتبتين الرابعة والخامسة على التوالي. لم تفهم مؤسّسة «الديموقراطي» أن مزاجاً ما قد بدأ يتبلور في الشارع الذي ضاقَ ذرعاً بسياسات ترامب وكلّ ما يمثّله الأخير، وبات يجد في مرشّحين من أمثال بيرني ساندرز أو بيت بوتيدجيج خياراً مُحتملاً. مزاجٌ قد لا يُشكّل تحولاً

> تصطدم رهاناتٌ «الديموقراطي» بمراجعات هيكلية يرفض الحزب إجراءها

في ما تمثّله الولايات المتحدة لعالم بدأت تخسر هيمنتها فيه، لكنّه يؤسّس لنقاش حقيقي بين الأميركيين سيشمل في وقت ما الدور وربّما الهوية.

هذا باختصار ما يُقلق أحزاب المؤسّسات. على ذكرها، تميل إحدى النظريات الشائعة إلى الاعتقاد بأن التماهي بين الرئاسة و«المؤسّسة» يعني مباركة الأخيرة كلّ قرار تتخذه وينتخذه ترامب، وفي ذلك، إن صحّ، دلالة مهمّة على كون الرئيس الحالي هو رئيس المؤسّسات. لكن في هذا الاعتقاد مبالغة تجافي الواقع كثيراً، إذ توجد في أميركا مستويات مختلفة من المؤسّسات، مثل مجلس الاحتياطي الفيدرالي (المركزي الأميركي)، وهناك المحكمة العليا، الأقوى في العالم، التي باتت تميل كفتها في عهد ترامب إلى المحافظين بعدما عيّن الرئيس قاضيَين محافظَين لمدى الحياة من أصل ثمانية (ثلاثة منهم من غير محافظين)، وصدّق الكونغرس على تثبيتهما. فتح ترامب حرباً على الأولى رغم كونها مؤسّسة مستقلّة لا تخضع بأي حال لسلطة الرئيس، على خلفية مطالبته بخفض أكبر لأسعار الفائدة. بالنسبة إلى الثانية، وتوصف بـ«المُفسّر الأخير للقانون الدستوري» (لها سلطة إبطال أيّ قانون أو قرار لا يتوافق مع الحريات الدستورية الأساسية) تجري علاقتها نظرياً على خير ما يرام مع الرئيس.

المستويات الأخرى، مثل السياسة الخارجية والدفاع، باتت تتطابق عملياً مع رؤى الرئاسة، بعدما استبدل ترامب وزراء وموظفين وإداريين وترك مناصب شاغرة. لمجمع الاستخبارات، وعلى رأسه «وكالة الاستخبارات المركزية» (سي آي إيه)، قصة أخرى تعبّر عنها العداوة المتجذّرة والاختلاف

يرفض الحزب الديموقراطي إجراء مراجعة لكيفية تعامله مع رئاسة ترامب (أ ف ب)

في الرؤى بينها وبين الرئيس، وما اغتيال جمال خاشقجي إلا مثال. إذاً، التماهي المُطلق أو العداء هما سمتان لهذه العلاقة التي تشكّل قلقاً لمؤسسة الحزب الديموقراطي التقليدية، فهي تخشى من تطوُّر مفهوم «الرئيس الإمبراطوري» إلى مستويات يمكن أن تهدّد «الميزة» الأميركية المطلقة: الديموقراطية!

صحيحٌ أن جو بايدن أمضى في السياسة ما يزيد على 35 عاماً، لكن وجوده كمرشّح محتمل مرتبط في المقام الأوّل بكونه شغَل منصب نائب باراك أوباما لولايتين متتاليتين. لا فكاك لبايدن من صفة نائب الرئيس السابق، فهذا جلّ ما يميّزه في المفهوم الشعبي الأميركي. كانت نهاية 2016 تقترب، بعدما أحدث فوز ترامب زلزالاً في واشنطن لا يزال العالم يعيش ارتداداته. في مقابلة مع شبكة «سي إن إن» أُذيعت في كانون الأول/ ديسمبر من ذلك العام، تحدّث نائب الرئيس، للمرّة الأولى، عن احتمال ترشّحه لرئاسيات 2020. كانت أحجية المؤامرة الروسية قد بدأت تتشكّل في الذهن الديموقراطي، وكذلك «عمالة» ترامب المحتملة للروس التي راودت خيال الحزب الحالم بإزاحة هذا العبء. استخدم بايدن آخر خطاباته بصفته نائباً لأوباما ليوجّه تحذيراً بشأن «تهديد» روسيا لأوروبا والولايات المتحدة. متحدثاً أمام «المنتدى الاقتصادي العالمي»، قال إن موسكو كانت في طليعة الجهود الرامية إلى حلّ مجتمع الديموقراطيات باستخدام كل الأدوات المتاحة: «الهدف واضح: انهيار النظام الدولي الليبرالي».

بهذا الخطاب الأميركي «الأصيل»، مهّد بايدن لجذب الانتباه. حدث ذلك بالفعل، بعدما أطلق حملته الانتخابية باعتبار أنه «يقاتل من أجل روح الأمّة». تصدّر «الرئيس الأكثر تقدّمية في التاريخ» الأميركي، كما يصف نفسه، على مدى أشهر طويلة، استطلاعات الرأي بين الناخبين الديموقراطيين، وكان حتى وقت قريب يُعدّ المرشّح الأوفر حظاً في مواجهة ترامب. لكنّ نكستَي آيوا ونيوهامبشر، وحلوله في المرتبتين الرابعة والخامسة، بيّنت أن «الأوفر حظاً» لم يعد كذلك، وأن حملته أمام مخاطر حقيقية قد تخرجه من السباق. بالنسبة إليه، «الأمر لم ينته بعد، لقد بدأنا للتو». كان يسعى إلى إقناع جمهوره بأن الـ8% التي حصل عليها في نيوهامبشر ليست سوى معركة في حرب طويلة، رغم أنها أتت بعد ثمانية أيام من حصوله على أقلّ من 16% في آيوا. لا شكّ في أن الأمر بات مرتبطاً بديناميّات الانتخابات وقدرته على محو هاتين النكستين المتتاليتين، وسط رهانه على الفوز في ولايتَي نيفادا (22 الجاري) وساوث كارولاينا في الـ29، مستفيداً من الدعم القوي الذي سيمنحه إياه السود. رهاناتٌ تصطدم بمراجعات هيكلية يرفض «الديموقراطي» إجراءها، وأبرزها كيفية تعامله مع رئاسة ترامب وصولاً إلى مهرجان عزله الذي أسهم في إضعاف الحزب ومرشّحه («الأوفر حظاً»)، وذلك لسببَين: محاولة الظهور بدور الضحية أولاً، ورفض استدعائه للاستماع إلى إفادته في الكونغرس ثانياً.

بالعودة إلى المزاج الأميركي، يقول أحد الناخبين: «يريد بايدن أن يعود بنا إلى الوضع الذي كان قائماً قبل عهد ترامب، لكن الوضع لم يكن جيداً بأيّ حال حينها. ساندرز راديكالي بعض الشيء، لكن الولايات المتحدة تحتاج إلى تحوّل جذري». وتشير أخرى إلى «تعب الناس من الوضع القائم. ساندرز يساري متطرّف، لكن بدلاً من إخافة الناخبين في الانتخابات قد يعطي ترشيحه واقتراحاته التقدُّمية الطموحة نتيجة تُخالف التوقعات فتتجدّد حماسة الناس».

«النخبوية» الديموقراطية تتلاشى: مرشّحو «اليسار» يؤرقون المؤسّسة

نادين شلق

كيف سيكون شكل الانتخابات التمهيدية للحزب الديموقراطي، خلال الأشهر المقبلة، انتهاءً بآخر استحقاق في الثاني من حزيران/ يونيو؟ سؤال من الصعب الإجابة عنه في وجود حشد من المتنافسين يصل عددهم إلى ثمانية، أربعة منهم على الأقل يتمتّعون بحيثية تميّزهم على المستوى الوطني عموماً، والولايات خصوصاً. بيرني ساندرز، مثلاً، يبدو كأنه المنافس الأبرز بعدما تمكّن من الفوز في ولاية نيوهامبشر، معتمداً على الزخم الذي حقّقه في آيوا قبلها. أما بيت بوتيدجيج، الذي بات اسمه متداولاً بقوة بعد فوزه في آيوا، فتمكّن حتّى الآن من إرسال إشارات عديدة إلى فئة لا بأس بها من الشعب الأميركي، معتمداً خطاباً معتدلاً ووسطياً، مثله مثل ايمي كلوبوشار التي برزت في انتخابات نيوهامبشر بعد حصولها على المرتبة الثالثة.

يبقى الأبرز من بين هؤلاء البرّابيث وارن وجو بايدن. سيناتوران يعكسان صورة المؤسسة الديموقراطية بأبرز تجلياتها، ولا يحيدان عن خطّها، بل هما المفضّلان لديها، بانتظار عمدة نيويورك السابق مايكل بلومبرغ، الذي يُؤمل أن يغطّي الفراغ الذي قد يتركه فشلها المتعاقب، عندما يدخل السباق خلال انتخابات «الثلاثاء الكبير»، في الثالث من الشهر المقبل. المحطّات المرتقبة كثيرة ولن تكون معالمها واضحة ما دامت ستتأثر بالنظام الانتخابي الخاص بـ«الديموقراطي» من جهة، وبالتنوّع الديموغرافي والواقع الاقتصادي والاجتماعي من جهة ثانية. بين هذا وذاك، تحمل المؤسسة الديموقراطية آمالاً في ألا يحصل ساندرز على ترشيح الحزب، في المؤتمر الوطني الذي سينعقد بين 13 و16 تموز/يوليو. وفيما من المتوقّع أن تعمل هذه المؤسسة كلّ ما في وسعها كي يجري اختيار مرشّح على صورتها، تذهب الأمور في اتّجاه أكثر سوداوية لها، مع احتمال فوز ساندرز في عدد من الولايات المُقبلة، بالاعتماد على عوامل عديدة، تبدأ من حصوله على قبول شعبي ولا تنتهي أمام التراجع الحاد للمرشحين المُفضّلين لدى المؤسسة. من هنا، يمكن تحويل السؤال إلى: كيف يتموضع كلّ مرشّح ديموقراطي، إلى الآن؟ وما المتوقع على المدى القريب؟

يمكن البدء من ساندرز الذي تموضع في موقع المنافس الأوفر حظاً حتّى بعد انتخابات آيوا، إذ ربما يكون بوتيدجيدج الفائز الأكبر هناك من حيث عدد المندوبين، لكنّ ساندرز كان الفائز باكبر عدد على مستوى «التصويت الشعبي» في المؤتمرات الحزبية كافة في الولاية. انطلاقاً من هذا الواقع، اعتمد حملته على زخم ذلك الاستحقاق، لتحوّله إلى فوز في نيوهامبشر، ولو بهامش ضيّق، على بوتيدجيدج الذي تلته كلوبوشار، ثمّ وارن، وبعدها بايدن. تراتبٌ يعطي دفعاً للمرشحين الثلاثة الأوائل، ولا يمنع بايدن من التعويل على العودة إلى الواجهة، خصوصاً في تمهيديات كارولينا الجنوبية، المرتقبة بعد نيفادا، على اعتبار أنّه قد يحوز أصوات الأميركيين السود في تلك الولاية.

مع ذلك، في ظلّ تقيّد المرشّحين بجدول زمني ضيّق، بات على بايدن وكلّ منافسيه هضمُ المتغيّرات في كلّ استحقاق، من دون إغفال الالتفات إلى متطلّبات لخّصها جون كاسيدي، في مجلة «ذي نيويوركر»، بأربع صفات يجب أن يتمتّع بها المرشح كي يكون مقبولاً ومفضّلاً: الرسالة الواضحة، الكثير من المال (للدفع للعاملين معه والإعلانات)، شبكة من المناصرين على مستوى وطني، ومجموعة متنوعة من الناخبين. حتى هذه المرحلة، ليس من الواضح هل أي من المرشّحين الرئيسيين يجيب عن هذه المتطلّبات الأربعة، لكنّ ذلك لا يمنع من الإشارة إلى أن ساندرز يبدو الأقرب لامتلاكها. فكثيرون يُجمعون على أنه الديموقراطي الذي يتمتّع بحركة شعبية قوية على مستوى البلاد. كما أنه جمع 34,5 مليون دولار في الربع الأخير من 2019، فضلاً عن أن رسالته واضحة جداً، وهي تتلخّص بما قاله في خطابه، عن أنه يريد أن يخلق «اقتصاداً وحكومة تعمل لنا كلّنا، وليس للمساهمين الأغنياء في الحملة». أمّا السؤال الأساسي: كيف يمكنه أن يوسّع قاعدة مناصريه لتصل إلى أكثر من الناخبين الشباب والتقدّميين ذوي الميول اليسارية؟ ربّما يكون الجواب في نيفادا، أو كارولينا الجنوبية، حيث للتنوّع السكاني والأميركيين السود ومن أصول لاتينية كلمة فصل.

رغم ما تقدّم، تبقى التحديات التي يواجهها ساندرز صغيرة مقارنة مع غيره من المرشحين. فبوتيدجيدج، مثلاً، يملك المال والرسالة التي تتمثل في كونه شاباً لم يتعرّض للإفساد في واشنطن، ومقبول لدى أصناف مُختلفة من

> تبقى التحديات التي يواجهها ساندرز صغيرة مقارنة مع غيره من المرشحين

الناخبين. وفي نيوهامبشر، جذب الأخير الناخبين من فئات مختلفة، بحسب استطلاعات للرأي. أما في آيوا، فبدا أنّه حصل على دعم المعتدلين. أما كلوبوشار، فبرزت في نيوهامبشر بعد مناظرة قوية ساعدتها على جذب عدد من الناخبين المعتدلين، خصوصاً من كانوا يحبّذون بايدن، لكن ذلك لا يعني أنها أمّنت تقدّماً ولو شبه مؤكّد، في الولايات القليلة المقبلة. أكثر من ذلك، يبدو مع تقدّم الوقت أنّه لا بوتيدجيدج ولا كلوبوشار يملكان الكثير من المقوّمات على مستوى الشبكة الوطنية، الأمر الذي يعني عملاً مضاعفاً من أجل جذب الناخبين السود والأميركيين من أصول لاتينية الذين ستلعب أصواتهم دوراً مهمّاً في نيفادا وكارولينا الجنوبية والولايات اللاحقة، حيث الأقليات الناخبة، التي كانت حتّى الآن غير مؤثّرة فعلياً في النتائج، ستحصل على فرصتها لتقول كلمتها، بعدما كان الناخبون البيض يملكون الثقل في أول ولايتين.

الحسابات ليست بسيطة، إذ من السهل القول إن إليزابيث وارن ستخرج من السباق بسبب فشلها المتكرّر الناتج عن أخطاء استراتيجية فادحة ارتكبتها، عبر المبالغة في تقدير الحماسة للسياسة الاقتصادية، والاعتماد الضيّق للغاية على ضرورة الفوز بأصوات السود أو من أصول لاتينية، فضلاً عن انتهاجها خطاباً أكثر نخبوية بعيداً عن فئات كثيرة. وأيضاً من السهل الإشارة إلى أنّ مناصريها سينتقلون إلى ساندرز، بعد سقوطها المتكرّر، أو أن جزءاً من مناصري بايدن سيصطفّون وراء بوتيدجيدج أو كلوبوشار. وبينما لا يزال مبكراً توقّع ما ستؤول إليه الأمور فعلاً، فإنّ ساندرز لا يلبث أن يتحوّل إلى الرقم الصعب، على الأقل في المدى المنظور.

بات على بايدن وكلّ منافسيه هضمُ المتغيّرات المتبدّية في كلّ استحقاق (أ ف ب)